قال عن الأدب العماني أنه لا يصل إلى قارئه

القصة القصيرة تودع نجمها يوسف الشاروني

حوار: حسن اللواتي

في اللحظة التي عرفت فيها خبر وفاة الأستاذ الكبير يوسف الشاروني استعدت حوارا أجريته معه قبل ١٦ عاما، كان في المسافة بين مكتبين في جامعة السلطان قابوس، وكنت موظفا جديدا بدائرة العلاقات العامة والإعلام. يعد الأستاذ الراحل أحد أعلام القصة القصيرة في الوطن العربي، وعاش عمرا طويلا متنقلا بين الحكايات القادمة من التربة المصرية، فالشاروني من مواليد عام ١٩٢٤، وعاش نحو ٩٣ عاما بقي فيها مخلصا لفن القصة القصيرة، حصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة - جامعة القاهرة عام ١٩٤٥، وتولى رئاسة نادي القصة بالقاهرة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٦ وله العديد من المؤلفات منها العشاق الخمسة، رسالة إلى امرأة، الأم والوحش، وترجمت أعماله إلى الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية، كما حصل الراحل على العديد من الجوائز منها جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ٢٠٠١ والتشجيعية في القصة القصيرة في عام ١٩٦٩، زار السلطنة عدة مرات وعرف عن حبه ووفائه الكبير للأدب العماني.

عودة للحوار

زار الأديب المصري يوسف الشاروني السلطنة لأول مرة عام ١٩٨٣م رافقته مجموعة من الكتب لقضاء وقت الفراغ، مع اعتقاده البلاد تعاني فراغا ثقافيا، لكن عاش تجربة ثقافية جعلته يكرر الزيارات، وكان آخرها للمشاركة في ندوة الأدب العماني الأولى التي احتضنتها جامعة السلطان قابوس، حيث التقيته حينئذ، مشيرا إلى أن الأدب العماني لا يصل إلى القارئ، ومتسائلا: كيف نبحث عنه بين معارض الكتب ودور النشر؟! وأسئلة عديدة تثير الشجون بداخله، كما قدم الشاروني محاضرة بعنوان ثقافة الطفل وأثرها في المجتمع ضمن فعاليات معرض مسقط الدولي الخامس للكتاب.

التقيت به وهو يستعد لمغادرة الجامعة وحقائبه جاهزة وأجريت هذا الحوار معه أثناء جولتنا السريعة من مبنى إدارة الجامعة إلى فرع بنك مسقط ثم العودة من جديد إلى مبنى الإدارة..

وعن بداية احتكاكه بالأدب العماني تحدث الأديب يوسف الشاروني: اعتقدت أن هناك فراغا ثقافيا في هذا البلد ولكنني كنت مخطئا حيث وقفت أمام مكتبة أدبية غنية، مكتبة مصدرها الفقهاء والعلماء والمؤرخون والشعراء والأدباء، كنز قديم عثرت عليه أعاد إلي شبابي حيث كنت متخما بالقراءة ولم تكن لدي الرغبة في الحصول على الجديد ولكن هذه الرغبة ماتت وحلت محلها رغبة جديدة.

ووصف الشاروني الأدب العماني بأن له خصوصية تميزه عن غيره ويقول حول ذلك: الكثير من الناس يعتقدون أن القول بخصوصية الأدب العماني هي مجاملة من قبل كل من يعشق الأدب العماني ولكن هذه ليست مجاملة بل هي الحقيقة أنني أشعر بالفخر كوني المتحدث الوحيد عن الأدب العماني في مؤتمر الرواية العربية عام ١٩٩٨ بمصر، وقرأت كتاب الدكتور حسن فوزي بعنوان (حديث السندباد القديم) ورجعت إلى قائمة المصادر في الكتاب فوجدت بعض العناوين التي تتحدث عن الملاحة في المحيط الهندي وبحر العرب وكانت هناك إشارات واضحة عن تاريخ سلطنة عمان.

ويضيف: في أوائل الثمانينيات كنت في جامعة لايدن الهولندية وهي من أشهر الجامعات التي تدرس الاستشراق ووجدت مخطوطين عن سلطنة عمان وقمت بتحقيق هذين المخطوطين وبعد زيارتي للسلطنة للتعرف على المناخ الأدبي قمت بعمل دراسة عن الأدب العماني: الشعر والقصة والرواية. كما قمت بتسجيل بعض القصص الشعبية التي يرويها كبار السن وتتضمن جوانب فلسفية وأسطورية جميلة أحسست أنه لابد من الحفاظ على هذه القصص خاصة بعد موت العديد من الأشخاص الذين يحفظونها عن ظهر قلب.

تحدث الشاروني في ذلك الحوار القصير عن القصة العمانية قائلا: بالإمكان التعرف عليها فهي تأخذ أحيانا السمات الخليجية، وتتلون بالألفاظ والمصطلحات العمانية فجوهرها ومضمونها عماني محلي تمتد جذوره في البيئة العمانية، ولكن مصدر الأسلوب يعتمد على القصص العربية السابقة والقصص العالمية، وفي حديثه عن الرواية أشار إلى أنها تعتمد على أربعة محاور أساسية هي القفزة الحضارية بإيجابياتها وسلبياتها وتشترك فيها جميع دول الخليج، والمحور الثاني هو الوافد الآسيوي الذي يقف الروائي ضده دائما بعكس الروائي في بقية الدول الخليجية كما أن الأمور الروحانية والغيبيات والسحر كل هذه العناصر موجودة في الرواية وهي مستمدة من البيئة المحلية ففي رواية المعلم عبد الرزاق لسعود المظفر يمكنك ملاحظة ذلك، وهناك فريق يؤمن بهذه الغيبيات وآخر يريد إلغاءها، والمحور الأخير إنساني مرتبط بالحب والفن.

يجيب على سؤال حول علاقة الأدب العماني بالمدارس الأدبية قائلا: كان الأسلوب الواقعي هو السائد في البداية في الرواية والقصة والشعر وانتقل الشعر إلى مرحلة الحداثة ولحقت به القصة، ولكنني لا أحب القصص الغامضة فالكثير من الأدباء يستخدمون الأساليب الغامضة وطريقة الألغاز وبعض هذه القصص يأخذ شكل الخاطرة وعندما تخبر كاتبها بأنها كذلك يشعر بالاستياء منك وهذا الأمر لا أومن به، الأدب يجب أن يكون كشعرة معاوية إذا شدها الناس أرخاها الكاتب لا تنقطع الشعرة فلا تنقطع الصلة بين الكاتب والقارئ.

وأغلق الوقت بابه في وجه الأسئلة وفي نهاية حديثه أكد الأديب المصري يوسف الشاروني على مسألة إيصال الأدب العماني إلى القارئ بشتى الطرق والوسائل.